



## القيم الإنسانية في سورة الحجرات

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات الكريمة التي تؤسس لمكارم الأخلاق، والقيم الراقية ، بل إن هناك سورا كاملة جاءت مؤسسة لمجتمع إنساني راقٍ ، كسورة الحجرات التي أرست مجموعة من القيم والأخلاق ، منها : التبين والتثبت في الأمور كلها ، وخاصة إذا كان هذا الأمر يتعلق بشئون الناس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)} [الحجرات: 6] ، فالإسلام يبيّن كل شيء على اليقين ، فهذا سيدنا سليمان (عليه السلام) حينما جاءه الهدد بخبر الذين يعبدون الشمس من دون الله ، ووصفه بالنباّ اليقين ، لم يأخذ كلامه مُسلّمًا ، وإنما تثبت ، وتبين كما حكى القرآن ذلك على لسانه ، قال تعالى : {قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النمل: 27] ، ويقول : (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ، قَالَ النَّوَوِي (رحمه الله) : فَإِنَّهُ يَسْمَعُ فِي الْعَادَةِ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ ، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ ، ولما دخل رجل على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ، وذكر له عن رجل شيئا ، قال له : إن شئت نظرنا في أمرك ؛ فإن كنت كاذبا ، فأنت من أهل هذه الآية : {إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} ، وإن كنت صادقا ، فأنت من أهل هذه الآية : {هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: 11] ، وإن شئت عفونا عنك ، فقال: العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه . فلو حرص كل منا على التثبت والتبين قبل إصدار الأحكام ، أو قبل بث ونشر كل ما يصل إليه ، لفقدت الإشاعة أثرها ، ولأحجم مروجو الإشاعات عن نشرها بين الناس.

ومنها : البعد عن الغيبة ، يقول تعالى : {وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 12] ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قَالَ : (أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟) ، قَالُوا : (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) ، قَالَ : (ذِكْرُكَ أَحَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ : (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَابْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ) ، وما أقدم الإنسان على الغيبة إلا لانشغاله بعيوب الناس عن عيوب نفسه ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ أَلْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ ، وَيَنْسَى الْجُدْعَ فِي عَيْنِهِ) بل إن الإنسان مطالب بأن يرد عن عرض أخيه حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

ومنها : اجتناب اللمز ، يقول تعالى : {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات: 11] ، أي ؛ لا يعيب بعضكم على بعض ، ويكون اللمز : بالقول ، والهمز بالفعل ، ونهى القرآن الكريم عنهما ، يقول تعالى : {وَوَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} ، وهم الذين يطعنون في الناس ، ويعيبون فيهم ، ويدعونهم بما يكرهون من الأسماء والصفات ، وهذا تحذير من همز ولمز الناس ووعدهم بهلاك شديد لمن يقع في هذا ، وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ : (لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ ، كُنَّا نَتَحَامَلُ ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ



صَدَقَةَ هَذَا ، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً ، فَنَزَلَتْ : {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة:

[79

ومنها : عدم السخرية من الناس ، فالمؤمن الحق لا يسخر ، يقول تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [الحجرات: 11] ، فقد نهانا ديننا عن كل ما يؤذي الآخرين ، فمن صفات المسلم ألا يكون مؤذيا لأحد ، ولا يأتي منه إلا الخير للناس ، ونفع الإنسانية.

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن كل ما يؤذي المشاعر قولاً ، أو فعلاً ، أو إشارة ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يبيت في الإنسان ما يرفع شأنه وفضله في أعين الناس ، فعن أمِّ مَوْسَى ، قَالَتْ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَلِيٍّ ، فَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ ارْتَفَى مَرَّةً شَجَرَةً ، أَرَادَ أَنْ يَجْتَنِي لِأَصْحَابِهِ ، فَضَحِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ دِقَّةِ سَاقِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : ( مَا تَضْحَكُونَ؟ فَلَهُوَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحَدٍ).

إن من أعظم القيم التي دعت إليها سورة الحجرات إعلاء مبدأ الأخوة والإصلاح بين الناس ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 10] ، فالإصلاح من أعظم القيم التي دعت إليها السورة الكريمة ، والتي يدعو إليها ديننا الحنيف الذي يؤسس لمجتمع إنساني متماسك متسامح ، ويعمل على إرساء قيمة العيش المشترك في جو من الألفة والتقارب ، بعيداً عن التنازع ، وهو علاج لكل مواطن النزاع والخلاف.

ففي إطار الأسرة يدعونا القرآن الكريم إذا ما وقع خلاف بين الزوجين ، ولم يتمكن من معالجته إلى إرسال من يتوسم فيه الصلاح من أهلها للإصلاح بينهما ، يقول تعالى : {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء: 35]

وتمتد هذه الروح الإصلاحية إلى المجتمع ليكون متصالحاً ، حيث يقول الحق سبحانه : {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114]

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) جزاء الإصلاح ، وأثر فساد ذات البين في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ دَرَجَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟) ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، فَلَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ)

فالمؤمن الحقيقي يجعل من الإصلاح منهج حياة ، فحيث نجده نجد الخير ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَعَالِيْقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ) .